والواقع أن القصص القرآنى للأنبياء، وقصص الصحابة أيضاً ذاخرة بالدروس المستفادة فى مجال تخصيص الوقت واستخدامه بأسلوب رشيد وفعال، لكننا نفضل الاكتفاء بذلك القدر حتى تتاح لنا أيضاً فرصة التعرف على ما يمكن أن يكون قد ورد بالتراث الفكرى الإسلامى القديم من أفكار متميزة فى المجال المعنى. ذلك ما نود إلقاء بعض الضوء عليه فى الجزء التالى والأخير من استعراضنا لبعض الزوايا الهامة للوقت وفقاً للمنظور الإسلامى النموذجى.

٧/٣: الوقت في التراث الفكرى الإسلامى: فى حدود معلوماتنا وما توصلنا إليه من نتائج بحثية فى ذلك المجال، لوحظ عدم وجود دراسة موجهة بعينها للبحث في مجال الوقت، وإن تم التعرض إليه، فيكون ذلك كنقطة تعرض ـ ضمناً ـ بين نقاط أو مجالات بحثية أخرى، لذلك فقد وجدنا صعوبة في استنباط نقاط متميزة حول الوقت مما تعرفنا عليه من نماذج الدراسات الفكرية المعنية مثل تلك المتعلقة بابن سينا وأحمد بن على الدلجى ومحمد بن الحسن الشيبانى وجعفر بن على الدمشقى... الخ.

ومع هذا، فإن هناك بعض النقاط ذات التوجيهات الإرشادية المفيدة حول الوقت التى تمكننا من التقاطها من مجموعة الدراسات التراثية ونوجزها فيما يلى:

(١) الماوردى: التقسيم الاقتصادى للوقت كأسلوب لتحسين كفاءة العمالة: والمفكر هنا هو أبو الحسن الماوردى الذى ولد فى عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م فى البصرة وعاش فى أزهى عصور الثقافة الإسلامية في العصر العباسى الثانى، وكان من اهتماماته الفكرية كيفية تحسين الكفاءة الإنتاجية للعمالة وكيفية رفع أدائها. ولقد اعتبر التقسيم الاقتصادى الرشيد للوقت من أهم العوامل المساعدة على تحقيق الهدف المنشود. حيث يتضح من فكر الماوردى أنه يجب إعطاء العامل أوقات للراحة فى أثناء ساعات العمل اليومية وذلك بالإضافة إلى ضرورة منحه أوقات عطلة دورية. ويرى الماوردى أن المسلم لا يجب أن يكون لديه وقت فراغ بحيث يكون حراً تماماً في كيفية قضائه حتى إن كان ذلك الوقت هو أوقات الراحة والعطلة التى دعا بوجوب منحها للعامل. وبناء عليه، فلم يوص الماوردى بأن يستغل العامل أوقات العطلة والتوقف المسموح به عن العمل فى اللهو أو فى السكون التام (وهو ما يسمى بلغة العصر الاسترخاء)، إنما نصح الماوردى بأن يستغل العامل ذلك الوقت المقتطع من أوقات العمل في تثقيف نفسه وفي زيادة خبراته ومهاراته بتحصيل العلم، حيث أن ذلك يضمن له تطوير مداركه وخبراته باستمرار، وبالتالى فهو يقيه من شر الاستغناء عنه من قبل صاحب العمل طالما أن عطاءه سيكون مستمراً.. ومتجدداً. وفي ذلك يقول الماوردى نصاً: «فليس كل الوقت وقت اكتساب، فلابد للمكتسب من أوقات استراحة وأيام عطلة. ومن كانت عطلته في تحصيل العلم فقد نجا».

وهو هنا يتفق ـ عرضاً ـ مع الشيباني في رفضه تخصيص كل وقت الإنسان في عملية التكسب فقط؛ وفي ضرورة تخصيص جزء من الوقت لممارسة أنشطة أخرى مفيدة مثل تحصيل العلم (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

(٢) ابن خلدون: خروج الأشياء من القوة إلى الفعل يتطلب زمناً: ففي حديث ذلك العالم الموسوعي عن الصناعة وتحليله لما يتعلق بها من جوانب وأبعاد (عبد الرحمن بن خلدون، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٣١٥)، أوضح الأهمية البالغة للعلم في تقدم الصناعة في أي مجتمع، وذكر أنه: «على قدر جودة التعليم ومَلَكةِ المعلّم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته، وأوضح أن تلك الصناعات منها البسيط (وهو ما يختص بالضروريات) ومنها المركب (وهو ما يختص بالكماليات). ونتيجة لارتباط درجة تقدم الصناعة بالتعليم فإن الصناعات البسيطة (المتعلقة بالضروريات) يكون قدر التعليم المرتبط بها (أو القائمة عليه) بسيطاً نسبياً، ويوضح ابن خلدون «كيف أن الزيادة التدريجية في العلم والمعرفة تنتقل بتلك الصناعات تدريجياً إلى الأكثر تركباً وتعقيداً وتقدماً، وأن ذلك لا يحدث إلا عبر فترات زمنية ممتدة حيث ينتهي الحال بعد حد زمني فاصل منها إلى انطلاق الصناعة نحو التقدم الراقي الشامل. وفي ذلك يقول ابن خلدون «ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل، بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدريج، حتى تكمُلْ، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في

أزمان وأجيال، إذ أن خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة، لاسيما فى الأمور الصناعية، فلابد له إذن من **زمان**».

(٣) ابن خلدون: مرحلة الفراغ هى آخر الأطوار الزمنية لاستبداد ذوى السلطان: ومن ذلك المنظور المتميز، نجد أن ابن خلدون يقرر أن كل دولة تنتقل -عبر الزمن- إلى أطوار مختلفة وحالات متجددة يتأثر بها أهلها أيضاً فتختلف أحوالهم وأخلاقهم تبعاً لذلك. وقد قسم أطوار الدولة إلى خمسة أطوار يرى أن الدولة غالباً ما تمر بها: الطور الأول: طور الظفر والنصر والاستيلاء على الملك؛ والطور الثانى: طور الاستبداد على القوم وانفراد أصحاب الحكم والنفوذ بالملك. أما الطور الثالث فهو الذى يعنينا حيث يوضح ابن خلدون أنه طور **الفراغ** والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه مثل الميل إلى تحصيل المال وتخليد الآثار والتوسع فى الضرائب وتشييد المبانى الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة...

ويتضح لنا أن المقصود من كلمة الفراغ التى اعتبرها ابن خلدون مؤشراً على الطور الثالث للدولة يختلف تماماً عما اعتدنا فهمه من ذات الكلمة في الأمور المعتادة لأن الفراغ هنا لا يعنى التوقف عن العمل التكسبى والمعيشى والتحصيلى، بل يبدو أنه يقصد به **التفرغ** لتحصيل الأموال وسلب الممتلكات من الغير بدليل أن ابن خلدون ذكر في نهاية حديثه عن ذلك الطور بأنه: «آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة، لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم، بانون

لعزهم، موضحون الطرق لمن بعدهم» (ابن خلدون، المرجع السابق، ص١٣٩). ويستدل على صحة ذلك المعنى البديل لما تدل عليه كلمة الفراغ المستخدمة هنا أن ابن خلدون ذكر أنه في الطور الرابع يحدث القنوع والمسالمة والاكتفاء بالاقتداء بمن سبقهم بينما فى الطور الخامس والأخير يحدث الإسراف والتبذير والتخريب لما تم التفرغ لجمعه وحصاده بشكل مكثف في الطور الثالث مما يؤدى إلى نهاية الدولة وتدهور أحوال مواطنيها.

(٤) الراغب الأصفهانى: الفراغ معول هدم للكيان البشرى الصحيح: هذا العالم عاش في القرن الخامس الهجرى بين أصفهان وبغداد وكان من أئمة السنة ومن أهم كتبه الذريعة والمفردات (شوقى دنيا، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الكتاب الثالث، ص١٩). وقد ورد ذكره للأثر السلبى لوقت الفراغ فى معرض حديثه عن البطالة واستهجانه لها لاعتبارها أمر متعارض مع الفطرة الإنسانية وقد ربط ما بين حدوث البطالة وبين مفهوم (الفراغ) الذى اعتبره «يبطل الهيئات الإنسانية» كما حذر من تكاسل الإنسان وعزوفه عن العمل والنشاط لأن فى ذلك تعطيل لقدرات الأعضاء البشرية عن أداء وظائفها التى خلقها الله من أجلها، واعتبر أن العمل والنشاط فيهما تحريك طبيعى لتلك الأعضاء أما التكاسل والركن إلى الفراغ والراحة فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل ما يملك الإنسان ويتمتع به من قدرات وقوى مادية ومعنوية، ولقد ذكر الراغب في ذم الفراغ واستهجان طلب الراحة

والتحذير من ذلك مقولة مشهورة يمكن بحق أن تصبح قولاً مأثوراً سهل التداول بين ألسنة الحكماء حيث كان مما قال في هذا الشأن: «**وأن من تعود الكسل ومال إلى الراحة، فقد الراحة**» (شوقي دنيا. المرجع السابق، ص٣٧).

(٥) أقوال مأثورة عن أهمية الوقت: وعلى ذكر كلمة الأصفهاني التي انتهينا بعرضها توآ، نود أن نختم ذلك العرض الموجز ببعض الأقوال الموجزة للسلف الصالح، والتي يمكن أن تنطوي على إشارات وإرشادات فعالة حول الوقت أكثر قيمة وأعمق مغزى مما قد يشار إليه في صفحات متعددة.

- في الأثر: أن نوحاً عليه السلام جاءه ملك الموت قائلاً: يا أطول الأنبياء عمراً: كيف وجدت الدنيا؟ فقال: **وجدتها كأنها لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.**

- «**إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، ولله حق بالليل لا يقبله بالنهار**» (أبو بكر الصديق).

- «**إني لأكره أن أجد أحدكم سبهللاً، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة**» (عمر بن الخطاب).

- «**يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك**» (الحسن البصري)

- «**أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه**» (الحسن البصرى)

ويقصد بذلك القول الرائع: أن العمر إذا ضاع فات ولم يعد ولا يمكن تعويضه، عكس الدرهم إذا ضاع يوماً وارتحل، فيمكن له أن يعود ويتم تعويضه.

- «والوقت أنفس ما عنيت بحفظه... وأراه أسهل ما عليك يضيع» (الوزير ابن هبيره).

- «إذا مضى يوم ولم أطلع يداً... فما ذاك من عمرى» (غير معروف اسم قائله).

ويقصد بذلك أنه إذا جاء على المرء يوم ولم يضع فيه معروفاً أو يزداد علماً، فهو يوم غير محسوب من عمره.

- «إضاعة الوقت من علامات المقت» (**غير معروف اسم قائله**).

(الأقوال السابقة مأخوذة من كتاب الوقت بين حرص السلف وتفريط الخلف لأبى محمد البيلاوى).

ونريد أن نختم تلك الأقوال المأثورة بمسك فاح من قول لعمر بن الخطاب، حيث يتضح من كلماته الموجزة المعبرة بعض الإرشادات الهامة لقضاء وقت الفراغ بشكل إيجابى فعال حيث كان هو دائماً يفعل، فقد كان يهتم بممارسة الرياضة والمصارعة والفروسية بالإضافة

إلى تفقده بنفسه لأحوال الرعية وسعيه فى مساعدتهم (عباس العقاد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢١٣).

ففى كيفية قضاء وقت الفراغ يقول عمر بن الخطاب ﷺ: **«علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحُسِّنَ من الشعر»**، كما يقول: **«لن تخور قُوى مادام صاحبها ينزع ويغزو»** (أى يرمى بالقوس، ويركب ظهر الخيل بغير ركاب)، (عباس العقاد، المرجع السابق، ص٢١٣).

وبعد أن انتهينا من تقديم المنظورين الوضعى والإسلامى لعنصر الوقت وتوضيح كيفية معالجة كل من الجانبين له، أصبح من الواضح -بما لاشك فيه- أن الوقت لا يمثل أساساً لحياة الإنسان فحسب. بل انه يمثل أيضاً روح العلم الشامل: وجوهر النظرية الاقتصادية وما يتشعب منها من قوانين وفروض ومسلمات وسياسات وغيرها من أبعاد وجوانب ومكونات. وقد لا نكون مبالغين إذا قررنا أن الوقت وكيفية تخصيصه واستغلاله يعتبر أحد المؤشرات الجوهرية التى تفصل ما بين مجموعة الدول المتقدمة (التى تحسن استغلاله)، وبين الدول المتخلفة (التى تجهل أهميته أساساً)، وكذلك فهو يفصل ما بين الفئات البشرية المادية (الذين يركزون استغلالهم للوقت على الأمور المادية والدنيوية فقط)، والفئات البشرية ذات الصلات الوثيقة بخالقهم عزوجل (حيث يعتبرون وقت العبادات من أساسيات حياتهم).

وقبل أن نوصى بإعادة النظر فى كل النظريات الإقتصادية، بل والنظريات العلمية على إطلاقها وإعادة ترتيبها بعد إدخال الوقت كعامل مشترك حتمى فى مكونات أى منها، نود أن نبدأ تواً فى الجزء الختامى التالى بمحاولة لاستنباط بعض القواعد والفروض والمسلمات التى يمكن أن نشتقها مما تم عرضه وتقديمه عبر الصفحات الماضية، آملين بذلك تقديم بعض اللبنات التى يمكن أن تساهم فى إرساء بعض الأسس المبدأية لنظرية شاملة متكاملة حول الوقت تقوم على الاجتهاد العقلى البشرى، ويتم تدعيمها وصقلها بالتوجيه الإسلامى النموذجى.

خاتمة، وبعض التصورات المقترحة: رؤية وضعية منقحة بالتوجيه الإسلامى

بالرجوع إلى كل ما تم سرده حول الوقت والجوانب والمتضمنات المتعلقة به، أصبحنا نتصور كل إنسان بشرى وكأنه سجل يتكون من صفحات بيضاء تمثل عدد لحظات عمره على أرض الحياة الدنيا؛ حيث يصبح لزاماً على كل إنسان أن يملأ تلك الصفحات البيضاء الفارغة. ولاشك فى أن كل شخص سوف يختلف عن الآخر في كيفية ملء تلك الصفحات، وفي الزمن الذى سيستغرقه من أجل إتمام ذلك العمل. وقد نجد كثيراً من الكسولين أو المهملين دائمى التأجيل لعملية ملأ الفراغات المستهدفة في صفحات حياتهم، أو أنهم يتركون كثيراً من تلك الصفحات بيضاء كما هى كلها أو في مساحات متفاوتة منها؛